

الكنائيات النفسية والخلقية في القرآن الكريم بين الدلالة البلاغية والترجمة البشتونية: دراسة

تطبيقية مقارنة على ترجمتي "تعليم القرآن" و"أفضل التراجم"

Psychological and Ethical Metonymies in the Holy Qur'an: Rhetorical Dimensions and Their Rendering into Pashto — A Comparative Applied Study of the Ta'lim al-Qur'an and Afdal al-Tarajim Translations

Dr. Yahya Khan

Assistant Professor of Arabic, Department of Islamic and Arabic Studies University of Swat

Email: yahya@uswat.edu.pk

Mr. Wahid Ullah (Corresponding Author)

MPhil Scholar of Arabic, Department of Islamic and Arabic Studies University of Swat

Email: wahidullahseb@gmail.com

Abstract

This study investigates psychological and ethical metonymies in the Holy Qur'an and explores their rhetorical and artistic dimensions, highlighting their role in portraying inner emotions and moral values through vivid sensory imagery. It also aims to evaluate the extent to which two Pashto translations, Ta'lim al-Qur'an and Afdal al-Tarajim, succeed in conveying the metonymic meanings and preserving their psychological and ethical implications. The study employs a descriptive, analytical, and comparative approach by examining selected Qur'anic verses containing psychological and ethical metonymies, analyzing them in the light of classical exegetical and rhetorical sources, and comparing their renderings in the two Pashto translations. The findings reveal that Qur'anic metonymy performs profound rhetorical and aesthetic functions that transcend literal meanings and produce emotional and educational effects. The study also demonstrates that Ta'lim al-Qur'an is generally more successful in preserving the psychological and ethical dimensions and rhetorical intentions of the Qur'anic text, whereas Afdal al-Tarajim tends, in several cases, toward literal translation that conveys the surface image without adequately reflecting its emotional and moral implications. The study concludes that translating Qur'anic metonymy into other languages requires balancing fidelity to the original text with preserving its rhetorical and psychological impact, and that moderate explanatory translation is more effective in conveying the spirit of Qur'anic expression than purely literal translation.

Keywords: Qur'anic Metonymy, Psychological Metonymy, Ethical Metonymy, Pashto Translation, Ta'lim al-Qur'an, Afdal al-Tarajim, Qur'anic Rhetoric.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. يُعدّ القرآن الكريم المصدر الأعلى للبيان العربي، وقد تميز بأساليب بلاغية فريدة تجمع بين جمال التعبير وعمق الدلالة، ومن أبرز هذه الأساليب الكناية التي تُعد وسيلة فنية راقية للتعبير غير المباشر، إذ تنقل المعاني النفسية والخلقية إلى صور حسية مؤثرة، فتتجاوز حدود الإخبار المجرد إلى التأثير الوجداني والتصوير الفني. وتحتل الكناية القرآنية مكانة متميزة في الدراسات البلاغية؛ لأنها لا تقتصر على بيان المعنى الظاهر، بل تكشف عن الأحوال النفسية والانفعالات الداخلية، أو عن القيم الخلقية والسلوكية التي يريد القرآن غرسها في النفوس. ومن هنا جاءت أهمية دراسة الكنائيات النفسية والخلقية في القرآن الكريم، والوقوف على أسرارها البلاغية، ومدى نجاح الترجمات في نقل هذه الدلالات إلى اللغات الأخرى. ويهدف هذا البحث إلى دراسة نماذج من الكنائيات النفسية والخلقية الواردة في القرآن الكريم، وتحليل أبعادها الفنية والنفسية، ثم مقارنة ترجمتها في ترجمتي «تعليم القرآن» و«أفضل التراجم» باللغة البشتونية، للكشف عن مدى محافظة كل ترجمة على الصورة الكنائية والدلالة النفسية والخلقية التي يحملها النص القرآني.

وقد اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي المقارن، من خلال دراسة الآيات القرآنية وتحليل أقوال المفسرين والبلاغيين، ثم موازنة الترحميتين وتقويم أسلوبهما في نقل المعنى الكنائسي، للوصول إلى نتائج علمية تسهم في إبراز جانب من إعجاز القرآن البياني، وتساعد في تطوير الدراسات الترجمية المتعلقة بالنص القرآني.

الأهداف:

- * بيان مفهوم الكناية النفسية والكناية الخلقية في القرآن الكريم.
- * إبراز الأبعاد البلاغية والفنية للكنايات القرآنية وأثرها في المتلقي.
- * دراسة نماذج تطبيقية للكنايات النفسية والخلقية في القرآن الكريم.
- * المقارنة بين ترجمتي «تعليم القرآن» و«أفضل التراجم» في نقل الدلالات الكنائية إلى اللغة البشتونية.
- * تقويم مدى محافظة كل ترجمة على الصورة البلاغية والمعنى النفسي والخلقى للنص القرآني.
- * إبراز أثر الترجمة التفسيرية والترجمة الحرفية في نقل الأسلوب الكنائسي.

أهمية البحث

تنبع أهمية هذا البحث من أهمية القرآن الكريم وبلاغته المعجزة، ومن أهمية الكناية بوصفها أسلوباً فنياً يحقق الإيحاء والتأثير النفسي والتربوي. كما تكمن أهمية الدراسة في الجمع بين الجانب البلاغي والجانب الترجيحي في الترجمة، وإبراز مدى قدرة الترجمة البشتونية على المحافظة على خصوصية الأسلوب القرآني، مما يثري الدراسات القرآنية والبلاغية والترجمة، ويساعد المترجمين والباحثين على فهم خصائص التعبير القرآني وأساليب نقله إلى اللغات الأخرى.

تعريف الكنايات النفسية:

الهدف من دراسة الكناية النفسية هو التعرف على الإشارات الوجدانية والمشاعر الداخلية التي تظهرها الكناية في القرآن، وذلك من خلال التصوير الفني المؤثر. فالقرآن الكريم يعتمد كثيراً على التصوير، إذ يجعل المعنى الذهني، أو الحالة النفسية، أو الموقف الحسي، صورة حية أمام القارئ. هذه الصورة ليست جامدة، بل فيها حركة وحياة. أحياناً تتحول الفكرة العقلية أو الشعور الداخلي إلى مشهد واضح نراه كأننا نعيشه. وإذا أضيف إليها الحوار، اكتملت عناصر التخييل الفني.

قال سيد قطب رحمه الله: والتصوير هو الأداة الشائعة في أسلوب القرآن فهو يعبر: بالصورة المحسنة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس، والمشاهد المنظور، وعن النموذج الانساني والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحركة المتجددة، فإذا المعنى الذهني هيءة أو حركة، وإذا الحلة النفسية مجسمة مرئية، أما الحوادث والمشاهد، والقصص والمناظر، فيوردها شاخصة حاضرة، فيها الحياة، وفيها الحركة، فإذا اضاف إليها الحوار، فقد استوت لها كل عناصر التخييل¹.

الكناية القرآنية لا تقف عند حدود التصوير الحسي الظاهر فقط، بل توحى بدلالات أعمق، وتؤثر في النفس تأثيراً كبيراً. فهي تقرب المعاني إلى القلب والوجدان، وتترك أثراً نفسياً واضحاً في المتلقي.

بهذا الشكل تتحول المعنويات والمجردات (مثل: الخوف، الحزن، الغيظ، الفرح، الطمأنينة...) إلى صور حسية ملموسة، تؤثر في النفس أكثر من التعبير المباشر المجرد. وقد قال الإمام الرازي: "ألف النفس مع الحسيات أتم من ألفها مع العقلية فإذا ذكرت المعنى العقلي الجلي ثم عقبته بالتمثيل الحسي فكأنه قد نقلت النفس من الغريب إلى القريب".² أي أن النفس ترتاح أكثر للصور الحسية، فإذا شرحنا المعنى العقلي ثم مثلناه بصورة محسوسة، صار المعنى أقرب وأسهل.

ونجد في الكناية القرآنية تصوراً لمشاعر كثيرة: مثل الندم، الحسرة، الغضب، الحسد، الفرح، الطمأنينة، الخوف، الفزع، وغير ذلك من الانفعالات. كلها تُعرض في القرآن في مواقف متنوعة: في الدنيا بأحداثها المختلفة، وفي مشاهد الآخرة المهيبة. إذن، الكناية القرآنية أسلوب في مؤثر. فهي توقظ المشاعر، وتغذي الخيال، وتجعل القارئ يرى المعاني بعينه، لا بعقله فقط. بخلاف الأسلوب العقلي الجاف الذي يخاطب الذهن وحده، فإن الأسلوب التصويري يخاطب الحس والوجدان من مداخل كثيرة، فيكون أثره في النفس أعمق وأبقى ولهذا، سيكون الاهتمام في هذا البحث ببيان الأثر النفسي للكناية القرآنية، وذلك من خلال دراسة أمثلتها في القرآن الكريم، كل مثال على حدة، وإبراز ما تحمله من تأثير نفسي وفني واضح.

المثال الأول: عض الأنامل

(هَآئِثُمْ أُولَآءِ يُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَهُمْ وَهُمْ مُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَفُوكُمْ فَالَوْا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْتُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)³

ترجمة الآية في "تعليم القرآن"

تاسو لگیا یی دھغوی سرہ مینہ محبت ساتی ولے دھغوی تاسو خویش نہ یی ، سرہ ددے چہ تاسو تول آسمانی کتابونہ منی او کلہ چہ تاسو سرہ یوحائے شی نو وائی چہ مونبر ایمان راورے دے او چہ خان لہ یوازے شی نو د پبرہ قہرہ درپسے خپلے گوتے پہ غابونو چیچی ، ورتہ وواہ چہ د خپل قہر د لاسہ مرہ شی ، بیشکہ اللہ تہ ستاسو د زرونو حال معلوم دے۔⁴

ترجمة الآية في "أفضل التراجم"

خبر شی تاسو مینہ کوئ د دوی سرہ او دوی مینہ نہ کوی لتاسو سرہ - او تاسو یقین کوئ پہ کتاب تول - او کلہ چہ یو خای شی دوی تاسو سرہ نو وائی ایمان راورے دے مونبرہ - او کلہ چی یوازے شی نو چیچی پہ تاسو د قہر نہ گوتی - او وایہ چی مرہ شی پہ قہر خپل سرہ - یقیناً خدای پوہہ دے د زرونو پہ خبرو باندے۔⁵

المعنى اللغوي لكلمتين: عض الأنامل:

الفعل عض: من أصل (ع ض ض) في اللغة يشير الى الإمساك أو القضم بالأسنان. قال ابن منظور أفريقي في لسان العرب عضض: العضض: الشد بالأسنان على الشيء، وكذلك عض الحية، ولا يُقال للعقرب لأن لدغها إنما هو بربانها وشوئتها، وقد عضضته أعضه وعَضَضْتُ عَلَيْهِ عَضّاً وَعَضِضاً وَعَضِضاً وَعَضَضْتُه، تَمِيمَةً وَلَمْ يُسْمَعْ لَهَا بَاتٍ عَلَى لَعْنَتِهِمْ، وَالْأَمْرُ مِنْهُ عَضٌّ وَعَضَضٌ. وَفِي حَدِيثِ الْعَرْبِاضِ وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ⁶

جاء في تفسير البحر المحيط المحيط العَضُّ: وَضَعُ الْأَسْنَانِ عَلَى الشَّيْءِ بِقُوَّةٍ، وَالْفِعْلُ مِنْهُ عَلَى فَعَلٍ بِكَسْرِ الْعَيْنِ، وَهُوَ بِالضَّادِ⁷ الأنامل: جذر الكلمة هو (غل): أصل النمل: يدل على تجمع شيء وصغر وخفة⁸ ، والأنامل جمع أنملة وهي: طرف الإصبع⁹ والأنملة: المفصل الاعلى الذي فيه الظفر من الإصبع.

المعنى المستهدف من عض الأنامل في الآية الكريمة:

وردت هذه الكناية في سياق توبيخ المؤمنين على صداقتهم ومودتهم للمنافقين من أهل الكتاب، الذين يُخفون في قلوبهم الغضب والحقد على المؤمنين. وقد صَوَّرَ القرآن هذا الحقد بتعبير كنائي نفسي موجز وقوي هو قوله تعالى: (عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ) فهذا التعبير يَصَوِّرُ الحالة النفسية لهؤلاء المنافقين من خلال حركة ظاهرة وهي عضّ أطراف الأصابع (الأنامل) عندما يخلو بعضهم إلى بعض هذه الحركة ليست هي المقصودة بذاتها، وإنما المقصود المشاعر والانفعالات التي تدفع إليها — أي الغيظ والحقد الشديد على المؤمنين وقد قال أبو حيان: "يُوصَفُ الغتاظ والنادم بعض الأنامل"¹⁰. (أي أن من يشتد غضبه أو ندمه قد يعضّ أنامله من شدة ما يشعر به وجاء في تفسير الموسوعة البلاغي، وتفسير أخرى مثلاً التحرير والتنوير ، وتفسير منير: كلهم قالوا: وعض الأنامل : كناية عن شدة الغيظ والتحسر ، وإن لم يكن عض الأنامل واقعا حسيا لان المعنى اللازم في الكناية لا يتعين قصده فالكناية بعض

الانامل عن شدة الغيظ والتحسر هو بحسب المتعارف ، وذلك ان الانسان اذا اضطرب باطنه من الانفعال صدرت عنه افعال تناسب ذلك الانفعال فهي هيئة في بدن الانسان تتبع هيئة النفس الغاضبة كما ان ضرب اليد على اليد يتبع هيئة النفس المتلهفة على فاءت قريب الفوت الى غير ذلك من عد الحصى والخط في الارض للهموم ونحوه¹¹. وسياق الآية يُظهر أن المقصود هنا هو الخلق والغيظ كما قال تعالى بعدها (قل موتوا بغيضكم) وهذا التعبير أيضا مجازي، يراد به الدعاء عليهم بأن يزداد غضبهم حتى يهلكوا به. وقد قال الزمخشري في تفسيره: قال الزمخشري: "دعاء عليهم باي يزداد غيظهم حتى يهلكوا به والمراد بزيادة الغيظ زيادة ما يغيظهم من قوة الاسلام وعز اهله ومالهم في ذلك من الذل والخزي والتبار¹²

وهكذا، فإن الكناية (عضوا عليكم الأنامل) تُصوّر ما في نفوسهم من مشاعر الحقد والغضب والندم، وتُظهر في الوقت نفسه عزة المؤمنين واطمئنانهم إلى وعد الله بنصرهم فللنفاقون يزدادون ألما وغيظا كلما رأوا قوة الإسلام، بينما يزداد المؤمنون فرحا وثقة بنصر الله. وبذلك تصور هذه الكناية فضلا عن كناية (عض الأنامل) مشاعرهم الباطنة وانفعالاتهم الظاهرة بتلك الحركة المنفعلة فتزيدهم ألما وغيظا، وهي تتكشف في النور يطلع عليها عباد الله المؤمنون فيزدادوا استبشارا بوعده الله بإعزازهم وإهلاك أعدائهم غيظا وذلا.

التحليل والمقارنة:

قال تعالى: ﴿يَغْضَوْنَ عَلَيْكُمْ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ ترجم مؤلف تعليم القرآن بقوله: (ده دبره قهره درپسي خيلي گوتي په غاښونو چيچي) اي يغضون أصابعهم من شدة الغيظ عليك. هذه ترجمة كناية؛ لأنها حافظت على الصورة البلاغية (عض الأصابع) التي تُعبّر عن الغيظ هذا التعبير من الكناية النفسية؛ لأنه يُعبّر عن حالة وجدانية، وهي الغيظ والحقد الدفين في النفوس فالقرآن الكريم لم يذكر الغضب تصريحًا، بل صوّره بصورة محسوسة (عض الأصابع) تدلّ عليه وتُجسّده في الذهن، وهذا هو جوهر الكناية النفسية. أما صاحب أفضل التراجم فقد ترجم أيضا (نو چيچي په تاسو ده قهر نه گوتي) أي يغضون أصابعهم من شدة الغيظ عليك هذه أيضا ترجمة كنائية، لكنها أقرب إلى اللفظ، ومعناها لا يخرج عن الكناية الأصلية. وكلتا الترجمتين تُعدّان كنائيتين، لأنهما أبقتا على الصورة الكنائية النفسية، إذ تعبّر عن شعور داخلي (الغيظ الشديد

أما لو تُرجمت ترجمة تفسيرية صريحة مثل: «هم في شدة الغضب عليكم»، فستكون ترجمة غير كنائية (تصريحية) لأنها أزلت الصورة البلاغية. إنّ قوله تعالى ﴿يَغْضَوْنَ عَلَيْكُمْ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ يُعبّد كناية نفسية، لأنه صوّر انفعالا نفسيا (الغيظ) بصورة حسية مؤثّرة، وهي عضّ الأصابع، وهذا من أبلغ ما يُعبّر به القرآن عن المشاعر الباطنية بأسلوب فني وتصويري بديع.

المثال الثاني: عض اليدين

الآية الكريمة: (وَيَوْمَ يَعْضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا)¹³

ترجمة الآية في "تعليم القرآن"

او په دغه ورځ به ظالم خپله (گوتی) لاسونه چيچی ، دابه وائی چه اے کاش! زه د پیغمبر سره په (سمه) لار لگیدله دے.¹⁴

ترجمة الآية في "أفضل التراجم"

- او کله چی چيچی ظالم لاسونه خپل وائی به آرمان خه تلے وے رسول سره په لارے - آرمان افسوس چی ما نه وے جوړکړے فلانی لره دوست -¹⁵

توضيح الكناية في الآية الشريفة:

يُصَوِّر هذا المشهد القرآني مشهداً من مشاهد يوم القيامة، حين يرى الظالم عاقبة أعماله ومصيره المحتوم، فيندم ندماً شديداً حتى يعضّ على يديه من شدة الحسرة والغم. إنّ الصورة الفنيّة في قوله: "يعضّ الظالم على يديه" تكشف عن حالة نفسية مضطربة يعيشها الظالم عند معاينة العذاب، فهي ليست مجرد حركة مادية، بل كناية نفسية عن الانفعال الشديد الذي يعتريه من الندم والغضب والعلاقة بين المعنى الظاهر (عضّ اليدين) والمعنى الكنائي (الندم الشديد) هي علاقة تلازم وارتباط؛ لأنّ عضّ اليدين من مظاهر الغضب والحسرة، كما أشار الزمخشري حين قال: "عضّ اليدين والأنامل، والسقوط في اليد، كناية عن الغضب والحسرة، لأنّها من روادفها، فيذكر الرادف ويُرَاد المردوف، فيرتفع الكلام به طبقة الفصاحة، ويجد السامع عنده في نفسه. من الروعة ما لا يجده في اللفظ الصريح"¹⁶.

ومن هنا جاءت الكناية في موضعها أنسب وأبلغ من أيّ تعبير آخر؛ لأنّها تجسّد الانفعال النفسي العميق الذي يعيشه الظالم في ذلك الموقف العصيب. وقال سيد قطب في ضلال القرآن والكناية في سياقها الذي وردت فيه أنسب وأدق في تصوير الحالة النفسية التي فيها الظالم في موقفه العسير من أي كناية أخرى مما ذكره الزمخشري كعضّ الأنامل مثلاً التي تشترك في إيجائها عن الندم في حركتها وصورتها مع كناية (عضّ اليدين) وذلك لأن موقف الظالم هنا في مشهد من مشاهد يوم القيامة وهو موقف مروع عصيب يعاين فيه الظالم عقابه ويستيقن بما كذب من قبل.... فالتعبير عن حالته النفسية وتجسيدها بكناية عزّ اليدين توحى بذلك الانفعال الشديد المضطرب وهذا يناسبه الحرك الغليظة المصورة للمعنى النفسي المقصود فهو لا تكفيه يد واحدة يعضّ عليها إنما هو يداول بين هذه وتلك أو يجمع بينهما لشده ما يعاينه من الندم المتمثل في عظه على اليدين فتكون رمزا مناسباً لحالته النفسية فتجسمها بتجسيماً¹⁷

وهذه الصورة الحركية (عضّ اليدين) ترسم رمزاً دقيقاً للحالة النفسية التي يبلغها الظالم حين يدرك مصيره المحتوم. فهي حركة غليظة عنيفة، تتناسب مع شدة الغضب والندم الذي يملأ كيانه ويتعمّق هذا المعنى بأسلوب التمثيل الذي يصاحبه قوله: "يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً. فنسمع في هذا النداء أنيناً مكتوماً من أعماق نفسه، وهفّة مكروبة تتمي ما فات ولا سبيل إليه. ثمّ تتصاعد صرخته في شدتها وألمها حين يقول "يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً". وهي صرخة تعبر عن أقصى درجات الحسرة واللوم، ليس على ترك سبيل المؤمنين فحسب، بل على مصاحبة من صدّه عن سبيل الله.

وقال الزمخشري: فكل من اتخذ من المضلين خليلاً كان لخليله اسم علم لا محالة، فجعله كناية عنه¹⁸. عن كلّ صاحب سوء ومضلل يزيع الإنسان بسببه عن الهدى، فهي تشمل كلّ من اتّخذ خليلاً في معصية الله وبذلك يتجلّى في هذا المشهد القرآني تصوير نفسي بليغ التأثير، يتراءى فيه الظالم وهو يعضّ على يديه في حركة مضطربة متواصلة من شدة ما يعاينه من ندم لا ينقطع، حتى ليُخَيَّل للسامع أنّه لن يهدأ أبداً. وهذا الإطالة في عرض مشهد الندم إنّما هي زيادة في عذاب الظالم من جهة، وزيادة في تأثير الصورة في وجدان المتلقّي من جهة أخرى إنّها كناية تجمع بين عمق الانفعال النفسي وروعة التصوير الفني، فتجعل القارئ يرى المشهد ويسمع صرخته ويشعر بحرارة ندمه، فيتجلّى بذلك الإعجاز البياني في أسمى صوره.

التحليل والمقارنة:

نلاحظ في ترجمة "تعليم القرآن" (يَعُضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ) به دغّه ورُح به ظالم خيلي كوتبي لاسونه جيچي "في ذلك اليوم يعضّ الظالم أصابعه من شدة الحسرة والندم". تُعدّ هذه الترجمة أنسب للكناية النفسية، لأنّها تنقل المعنى الشعوري الذي أراده النصّ القرآني، وهو شدة الندم والغضب والحسرة، من غير أن تقتصر على الفعل الحسي الظاهر.

فعبارة «يعضّ أصابعه» تُصوّر حالةً نفسيةً عميقة يعيشها الظالم حين يدرك خطأه فيعضّ أصابعه غيضاً، فهي كناية عن الندم الشديد، لا عن حقيقة العضّ المادي فترجمة "تعليم القرآن" قد وُفّقت في نقل روح الكناية النفسية، لأنها تُبرز الجانب الوجداني والانفعالي للنصّ

أما ترجمة "أفضل التراجم" فترجم هذه الكلمات (يعضّ الظالم على يديه) "او كله جي چيچي ظالم لاسونه خيل" هذه الترجمة أقرب إلى الترجمة اللفظية من حيث البنية، لكنها مع ذلك تحافظ على المعنى النفسي الكنائي، لأنّ صورة "عضّ اليدين" في السياق العربيّ القرآنيّ تُفهم على أنّها كناية عن الندم والغضب الداخليّ فهي وإن كانت أقلّ تصويراً من ترجمة "تعليم القرآن"، إلا أنّها لا تبتعد عن مقصود الكناية، إذ تومئ إلى الحالة النفسية المنفعلة التي يعيشها الظالم.

ترجمة تعليم القرآن هي الأقرب إلى الكناية النفسية من حيث التصوير والانفعال وترجمة أفضل التراجم تحمل المعنى النفسي أيضاً، لكنها أكثر ميلاً إلى اللفظية. اللفظ القرآنيّ نفسه يجمع بين التصوير الحسيّ والإيحاء النفسيّ، مما يجعله من أبلغ أمثلة الكناية النفسية في القرآن الكريم.

المثال الثالث: تقليب الكفين:

الآية الكريمة: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾¹⁹
ترجمة الآية في "تعليم القرآن"

نو د هغه د ميوونه عذاب راجا پيره شو نو هغه په هغه سرمايه لاسونه و مرورل كومه چه هغه په هغه لگولې وه او هغه باغ تول خپرونه راپريوتی وو ، او دابه ئ وئيل چه اے كاش! ما د خپل رب سره هيڅوك شريك كړې نه وے -²⁰
ترجمة الآية في "أفضل التراجم"

او هلاكه شوه ميوه دهغه نو سحر ئ مكل ورغوى خپل په هغه شئ باندې چي خرچ كړے وه په هغه او هغه ارتاؤ وه په چتو خپلو باندے او هغه ويل آرمان ما نه وے شريك كړے درب خپل سره يو كس -²¹
توضيح الكناية في الآية الكريمة:

وردت الكناية ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ في سياق قصة الرجلين، حيث جعل الله لأحدهما جنتين فاغترّ بما عنده من النعيم، وتكبر على صاحبه، ولم يؤمن بربه الذي أنعم عليه. فكانت عاقبته أن دمر الله جنتيه وأهلك ثمارهما، حتى أصبحتا أثرًا بعد عين- والصورة الكنائية في قوله تعالى ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ متصلة في معناها بقوله تعالى ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾، لأنها تجسّد حركي للحالة النفسية التي انتابته بعد دمار الجنتين. وقد بين الزمخشري أصل الاستعارة في قوله "وأصله من أحاط به العدو، لأنّه إذا أحاط به فقد ملكه واستولى عليه".²²

ثم حذف المستعار منه وهو "العدوّ"، وأبقى اللازم وهو "الإحاطة" على سبيل الاستعارة، وفي ذلك تعميق لمعنى التدمير، لأنّ الإحاطة هنا جاءت بمعنى الهلاك الشامل الذي استأصل الثمر، وهو أنفس ما في الجنتين، ثم ترتفع الصورة الفنية إلى مشهد آخر من مشاهد الخراب في قوله تعالى ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾، وقد فسرها صفوة التفاسير بقوله: أي مهدّمة محطّمة قد سقطت السقوف على الجدران، فأصبحت خراباً يباباً.²³ وهذه صورة كنائية توحى بالتحطيم والموت، ويأتي بعدها المشهد النفسيّ المؤلم في قوله ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾، إذ يقلب يديه ظهرًا لبطن، وهي حركة تعبّر عن الندم والتحقّر على ما أنفق في تلك الجنتين من مال وجهد.

فالآية الكريمة عبّرت بالفعل الحركي عن الإحساس النفسي العميق، ف"تقليب الكفين" هو لازم الندم، والمراد منه الندم ذاته. وهكذا أصبحت الكناية رمزاً دالاً على هذا الشعور النفسيّ المؤلم. وفي الكناية أيضاً إيحاء لطيف يتسق مع السياق، إذ توحى حركة اليدين بفرغ الكفين بعد أن كانتا ممتلئتين بالثمر والنعيم، وكأنّ تقليبهما إعلان عن ضياع كلّ شيء بعد الثراء والرضا. وتكشف هذه

الصورة الكنائية عن الضعف النفسي في شخصية هذا الرجل الذي بنى سعادته على القيم المادية دون الإيمان بالله، فترسم تحوله الداخلي من غرور النجاح إلى الشقاء والافلاس والضعف. قال علام الزمخشري في تفسيره وتقليب الكفين: كناية عن الندم والتحسر، لأنّ النادم يقلب كفيه ظهراً لبطن، كما كنى عن ذلك بعض الكف والسقوط في اليد، ولأنه في معنى الندم عدى تعديته بعلى، كأنه قيل: فأصبح يندم على ما أنفق فيها أي أنفق في عمارتها وهي خاوية على عروشها يعني أنّ كرومها المعرشة سقطت عروشها على الأرض.²⁴

وأيضاً جاء في تفسير ابن عاشور وتقليب الكفين: حركة يفعلها المتحسر، وذلك أن يقلبهما إلى أعلى ثم إلى قبالة تحسراً على ما صرفه من المال في إحداث تلك الجنة. فهو كناية عن التحسر، ومثله قولهم: قرع السن من ندم، وقوله تعالى: عضوا عليكم الأنامل من الغيظ²⁵

التحليل والمقارنة:

أما تعليم القرآن فترجم هذه الكلمات في قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ (نو هغه په سرمايه لاسونه ومروړل) أي فصار يلوي يديه ندماً على ماله. وهذه الترجمة تُعبّر عن المعنى الكنائي النفسي المقصود في الآية، لأنّ حركة تقليب الكفين هنا كناية عن الندم والحسرة الشديدة، فالمترجم قد راعى الجانب النفسي الكنائي في التعبير القرآني.

أما في أفضل التراجم فجاءت ترجمة هذه الكلمات ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ "نو سحريي مغل ورغوي خپل" وترجمتها إلى العربية فأصبح يقلب يديه. وهذه الترجمة وإن كانت لفظية كالسابقة، لكنها أيضاً تدل على الندم والحسرة وتظهر ما في التعبير من إحساس بالأسف والندم العميق. والنتيجة أن كلا المترجمين قد راعا الأسلوب الكنائي القرآني في ترجمتهما.

المثال الرابع: جعل الأصابع في الآذان واستغشاء الثياب:

الآية الكريمة: ﴿وَإِني كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْبِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾²⁶

ترجمة الآية في "تعليم القرآن"

او ما چه كله هغوى راوبلل چه ته ورته بخبننه وكرے ، نو هغوى خپله گوتے په غورونو كبنے وركړے ، او د خپلو ځانونو او مخونو نه د جامے راتاؤ كړے او (پخپله خبره) ټينگ شول او ځان د ډير غټ وگنړلو.²⁷

ترجمة الآية في "أفضل التراجم"

او ما چه كله اوبلل دوى لره چه ته اوبخه دوى نو دوى اومندله گوتے خپله په غورونو خپلو كبنے او دوى زان پټ كړو په جامو خپلو كبنے او دوى ضد او كړو او زان د غټ او گنړلو په غرور سره -²⁸

توضيح الكنايتين في الآية الكريمة:

وردت الكنايتان في آية واحدة وصفاً لقوم نوح عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿وَإِني كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾. وقد اجتمعت الكنايتان بحركتيهما «جعلوا أصابعهم في آذانهم» و«استغشوا ثيابهم» في أداء المعنى النفسي المقصود على نحوٍ فنيٍّ مؤثّرٍ.

أولاً: الكناية الأولى "جعلوا أصابعهم في آذانهم" تجسّد هذه الكناية الحالة النفسية لقوم نوح عليه السلام بهذه الحركة المادية وهي سدّ آذانهم بأصابعهم كي لا يسمعوا رسولهم وما يدعوههم إليه من الهدى والمغفرة. فالمعنى الظاهر يدلّ على سوء أدبهم واستهزائهم بنبيّ الله، ولكن المراد أعمق من ذلك، إذ الكناية تعبّر عن تصميم نفسيّ تامّ على الإعراض والمكابرة ورفض الاستماع إلى الحق.

ولم يقل سبحانه «أناملهم» كما هو المتوقّع في التعبير الظاهر، لأنّ الأنامل هي أطراف الأصابع التي تُجعل في الآذان، وإنما قال «أصابعهم» للمبالغة في التعبير عن شدّة الإعراض والرفض. قال الزمخشري في تفسيره: «فَهَلَا قِيلَ أَنَامِلُهُمْ؟ قُلْتُ: هَذَا مِنْ اتِّسَاعَاتِ

اللُّغَةُ الَّتِي لَا يَكَادُ الْحَاصِرُ يَحْصَرُهَا، وَأَيْضًا فَفِي ذِكْرِ الْأَصَابِعِ مِنْ ذِكْرِ الْمُبَالَغَةِ مَا لَيْسَ فِي ذِكْرِ الْأَنْتَابِلِ.²⁹ قَدَّلَ هَذَا التَّعْبِيرُ عَلَى شِدَّةِ سَدِّ آذَانِهِمْ وَقُوَّةِ انْغِلَافِهِمْ عَنْ سَمَاعِ الْحَقِّ وَكَرَاهِيَتِهِمْ لَهُ، فَهِيَ كُنَايَةٌ نَفْسِيَّةٌ عَنْ مَوْقِفٍ دَاخِلِيٍّ مُتَصَلِّبٍ فِي الرِّفْضِ وَالْمَمَانَعَةِ.

ثَانِيًا: الْكُنَايَةُ الثَّانِيَةُ "وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ"

قَالَ الرَّخْمَشَرِيُّ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ»: وَتَغَطَّوْا بِهَا، كَأَنَّهُمْ طَلَبُوا أَنْ تَغْشَاهُمْ ثِيَابُهُمْ أَوْ تَغْشِيَهُمْ لئَلَّا يُبْصِرُوهُ كَرَاهَةً النَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ مِنْ يَنْصَحُهُمْ فِي دِينِ اللَّهِ³⁰، كَرَاهَةً لِلنَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ. فَهِيَ كُنَايَةٌ عَنْ شِدَّةِ نَفْوَرِهِمْ مِنَ الدَّاعِي وَالِدَعْوَةِ سَوَاءً، إِذْ لَمْ يَكْتَفُوا بِسَدِّ أَسْمَاعِهِمْ بَلْ عَطَّلُوا أَبْصَارَهُمْ أَيْضًا. وَهَذِهِ الْكُنَايَةُ تُشِيرُ إِلَى تَعْطِيلِهِمْ وَسَيْلَتِي الْإِدْرَاكِ وَالْمَعْرِفَةِ: السَّمْعُ وَالْبَصَرُ. قَالَ أَبُو حَيَّانٍ الْأَنْدَلُسِيُّ: «ذَلِكَ كُنَايَةٌ عَنِ الْمُبَالَغَةِ فِي إِعْرَاضِهِمْ عَمَّا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ، فَهُمْ بِمَنْزِلَةِ مَنْ سَدَّ سَمْعَهُ وَمَنْعَ بَصَرَهُ³¹ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: «وَأَصْرَوْا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا» أَيْ اسْتَمَرَّوْا عَلَى الْكُفْرِ وَالطُّغْيَانِ وَاسْتَكْبَرُوا عَنِ الْإِيمَانِ اسْتِكْبَارًا عَظِيمًا، وَفِي ذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى فَرْطِ عِنَادِهِمْ وَغُلُوبِهِمْ فِي الضَّلَالِ.

وَقَدْ شَبَّهَ الرَّخْمَشَرِيُّ إِصْرَارَهُمْ هَذَا بِإِصْرَارِ الْحِمَارِ عَلَى الْعَانَةِ فَقَالَ: «الْإِصْرَارُ مِنْ أَصَرَّ الْحِمَارُ عَلَى الْعَانَةِ إِذَا صَرَ أَذْنِيهِ وَأَقْبَلَ عَلَيْهَا يَكْدُمُهَا وَيَطْرُدُهَا، وَاسْتَعْبِيرَ ذَلِكَ لِلْإِقْبَالِ عَلَى الْمَعَاصِي وَالْإِكْبَابِ عَلَيْهَا³² وَهَذِهِ الِاسْتِعَارَةُ تُوْحِي بِأَنَّ قَوْمَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَالْحِمِيرِ الَّذِينَ عَطَّلُوا وَسَائِلَ الْمَعْرِفَةِ، وَلِذَلِكَ شَبَّهَهُمُ اللَّهُ بِالْأَنْعَامِ بَلْ أَضَلَّ، فَقَالَ: ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلَّ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾³³. فَالْكُنَايَتَانِ «جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ» وَ«أَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ» تُجَسِّدَانِ بِقُوَّةٍ تَعْبِيرِيَّةٍ وَسِيلَةَ قَوْمِ نُوحٍ فِي صَدِّ الْحَقِّ وَتَعْطِيلِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ، وَتُظْهِرَانِ مَجَاهِدَةَ النَّبِيِّ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُمْ رَغْمَ إِصْرَارِهِمْ وَاسْتِكْبَارِهِمُ الثَّابِتِ.

التحليل والمقارنة:

تَرْجَمَ هَذِهِ الْكَلِمَةَ مُؤَلِّفُ "تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ" (جَعَلُوا أَصْبِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ) "نُو هَغْوِي خِيلِي كُوتِي پِه غُورُونُو كِي وَرَكْرِي، أَوْ دِه خِيلُو خَانُونُو أَوْ مَخُونُهُ نِه يِي جَامِي رَاتَاو كَرِي". أَيْ فَقَدْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ، وَغَطَّوْا أَجْسَامَهُمْ وَثِيَابَهُمْ عَلَى وَجْهِهِمْ.

وَهَذِهِ التَّرْجُمَةُ تَرْجُمَةُ لَفْظِيَّةٍ حَسِيَّةٍ، إِذْ اقْتَصَرَتْ عَلَى تَصْوِيرِ الْحَرَكَةِ الظَّاهِرَةِ دُونَ الْإِشَارَةِ إِلَى الْمَعْنَى النَّفْسِيَّةِ الْكَامِلِ مِنْ وَرَاءِهَا، وَهُوَ الْإِنْكَارُ الشَّدِيدُ وَالنَّفْوَرُ مِنْ سَمَاعِ الْحَقِّ. فَهِيَ لَا تَعْبِّرُ عَنِ الْكُنَايَةِ النَّفْسِيَّةِ الْمَقْصُودَةِ فِي النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ.

وَأَمَّا صَاحِبُ أَفْضَلِ التَّرَاجِمِ فَقَدْ تَرْجَمَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ (جَعَلُوا أَصْبِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ) إِلَى لُغَةِ الْبَشْتُو "نُو دُوي أَوْ مَنْدَلِي كُوتِي خِيلِي پِه غُورُونُو خِيلُو كِي، أَوْ دُوي خَان پَت كَرُو پِه جَامُو خِيلُو كِي" تَرْجَمَتْهَا إِلَى الْعَرَبِيَّةِ: فَقَدْ أَدْخَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ، وَتَغَطَّوْا بِثِيَابِهِمْ لِيَخْفُوا أَنْفُسَهُمْ. هَذِهِ التَّرْجُمَةُ أَيْضًا حَرْفِيَّةٌ ظَاهِرِيَّةٌ، اكْتَفَتْ بِتَصْوِيرِ الْفِعْلِ الْمَادِيِّ دُونَ إِظْهَارِ الْجَانِبِ النَّفْسِيِّ مِنَ الْإِنْفِعَالِ وَالْإِعْرَاضِ. وَلِذَلِكَ فَهِيَ - مِثْلُ الْأُولَى - لَا تُمَثِّلُ الْكُنَايَةَ النَّفْسِيَّةَ فِي الْآيَةِ.

وَلَوْ تَرْجَمَتِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ عَلَى النُّحُو الْآتِي أَوْ أُضِيفَتْ إِلَيْهَا بَعْضُ الْكَلِمَاتِ الْمُوَحِيَّةِ إِلَى الْمَعْنَى الْمَقْصُودَةِ لَكَانَ أَقْرَبَ إِلَى الصَّوَابِ، "نُو هَغْوِي دِ پِيغْمِير دِ وِينَا دِ نِه أَوْرِدُو لِپَارِه لِه انْكَار أَوْ نَفَرْت سِرِه كُوتِي پِه غُورُونُو كِي كِبِينُودِي، أَوْ خَانُونُهُ يِي دِ حَق لِه قَبْلُولُو خُخِه دِ پَتِيدُو لِپَارِه پِه جَامُو كِي رَانْغَارِل."

وَبِنَاءٍ عَلَى مَا أَوْرَدْنَا نَسْتَطِيعُ الْقَوْلَ بِأَنَّهُمَا -الْمُتَرْجِمِينَ- تَرْجَمَتَا لَفْظِيَّتَانِ حَسِيَّتَانِ، اقْتَصَرَتَا عَلَى ظَاهِرِ الْفِعْلِ دُونَ دِلَالَتِهِ النَّفْسِيَّةِ. أَمَّا التَّرْجُمَةُ الْمُوَافِقَةُ لِلْكُنَايَةِ النَّفْسِيَّةِ فَهِيَ الَّتِي تُبْرِزُ الْبَعْدَ الْوُجْدَانِيَّ وَالْإِنْفِعَالِيَّ الْمَقْصُودَ فِي النَّصِّ، إِذْ تَعْبِّرُ عَنْ حَالِ الْمُعَانِدِينَ الَّذِينَ سَدَّوْا آذَانَهُمْ وَأَغْلَقُوا قُلُوبَهُمْ عَنْ سَمَاعِ الْحَقِّ.

القسم الثاني: الكنايات الخلقية:

نقصد بالكناية الخلقية تلك الكناية التي تتناول موضوعاً يتصل بقيمة خلقية، سواء كانت هذه القيمة إيجابية مثل الشجاعة والتواضع والعفة والصبر، أو سلبية مثل الغيبة والنميمة والبخل والإسراف والجبن والتكبر وهذه القيم كلها تتعلق بأخلاق الإنسان وسلوكه في المجتمع الذي يعيش فيه وعندما يعرض القرآن هذه الموضوعات المهمة، فإنه لا يعرضها بأسلوب مباشر جافّ أو تقرير ذهني مجرد، بل يقدمها في صورة فنية تصويرية من خلال الأسلوب الكنائي، فيجعل المعنى أكثر حيوية وتأثيراً في النفس، فيوقظ المشاعر ويثير الوجدان عند السامع، ليحبّ الصفات الحسنة وينفر من السيئة.

وقد حاولنا أن نقسم الكنايات الخلقية بحسب الموضوعات التي تناولتها، فكل كناية أو أكثر تجتمعان في موضوع خلقي واحد، وتصل الفكرة إلى القارئ من خلال فن الكناية الذي يؤدي المعنى أداءً فنياً جميلاً، وينقل الفكرة العميقة بألفاظ قليلة، بطريقة لا يستطيع التعبير المباشر أن يبلغها.

وهذه من خصائص الكناية القرآنية، إذ تمتاز بالقدرة على تصوير المعاني الكبيرة بألفاظ موجزة مؤثرة وستظهر هذه الخصائص الفنية واضحة عند عرض الكنايات الخلقية في هذا الفصل.

الكناية الخلقية هي تعبير غير مباشر يُستخدم في القرآن الكريم أو في اللغة للدلالة على صفة خلقية في الإنسان — سواء كانت محمودة مثل الصبر، العفة، التواضع، أو مذمومة مثل الكبر، البخل، الغيبة، والنميمة — من غير أن تُذكر تلك الصفة صراحة، بل يُعبّر عنها بعبارة تصويرية توحي بها. وخلاصة القول: هي كناية تُعبّر عن الصفات الأخلاقية والسلوكية للإنسان، بطريقة فنية غير مباشرة، تُصوّر المعنى وتؤثر في النفس أكثر من القول الصريح.

المثال الاول: غل اليد إلى العنق وبسطها كل البسط

الآية الكريمة: (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا)³⁴

ترجمة الآية في "تعليم القرآن"

او خپل لاس خپل ځټ پورے تر لے مه ساته (يعنى شوم مه جوريزه) ، او نه ے بالکل پرانستی چلوه ، گنى ملامته تش تور لاس به ناست پاتے شه،³⁵

ترجمة الآية في "أفضل التراجم"

او مه جوړوه لاس خپل تر لے شوى ځټ ستا ته او مه ى خوراوه ډير زيات نو كيښه نه ملامته كړے شوے فيل شوے) كه اسراف كوى) -³⁶

توضيح الكناية في الآية الكريمة:

ينهى الله تعالى عباده في هذه الآية عن حالتين متقابلتين في التعامل مع المال البخل الشديد الذي يمنع صاحبه من العطاء الإسراف المفرط الذي يؤدي إلى ضياع المال ويأمرهم بالتوسط والاعتدال في الإنفاق، لأن التوازن هو القاعدة العامة في منهج الإسلام قال تعالى في موضع آخر وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا فَكُلْ إِفْرَاطٍ أَوْ تَفْرِيطٍ يَحِلُّ بِهَذَا التوازن مرفوض في ميزان القرآن. فالبخل تفریط، والتبذير إفراط، وكلاهما من الرذائل التي تفسد النفس والمجتمع وقد عرّف الفلاسفة الفضيلة بأنها وسط بين رذيلتين³⁷؛ فالسوء فضيلة، لكن إن جاوز حدّه صار تبذيراً، وإن قصر عنه صار بخلاً وكذلك الاقتصاد فضيلة، لكن المبالغة فيه شحّ، والإهمال إسراف لم يعبر القرآن عن هذه المعاني بلغة عقلية مجردة، بل استخدم الكناية التصويرية المحسوسة، فجعل البخل والتبذير في صورتين حسيتين متقابلتين (يد مغلولة إلى العنق: كناية عن البخل الشديد. يد مبسوطة كل البسط: كناية عن الإسراف المفرط) وهذا الأسلوب الكنائي من سمات البيان القرآني، لأنه يجعل المعنى محسوساً، فتأثر به النفس أكثر مما تتأثر بالمعاني الذهنية البحتة. فالصورة الحسية أبلغ وأوقع لأنها تری في الخيال وكأنها ماثلة أمام العين. صورة اليد المغلولة إلى العنق. هذه الصورة تمثّل البخل تصويراً مادياً حياً فهو

إنسان مقيد اليدين إلى عنقه لا يستطيع حركة ولا عطاء وليست يداه مغلولتين إلى الأمام كما في العادة، بل إلى العنق، في صورة غريبة توحى بالمنع الكامل والعجز التام.

قال عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز: إن اثبات الصفة بإثبات دليلها وإيجابها بما هو شاهد في وجودها، أكد وأبلغ في الدعوى من أن تحيء إليها فتبثتها ساذجا غفلا.³⁸ فالكناية هنا أبلغ من القول المباشر "لا تبخل"، لأنها ترسم البخل في مشهد بصري محسوس، يجعل القارئ يشعر بثقل القيد وضيق النفس أما الصورة الثانية فهي تمثل المسرف الذي يبسط يده فينفق كل ما عنده والبسط التام يوحي بالخلو الكامل؛ كأن يده لم تبق شيئا. فهذه الصورة أقل شدة من صورة البخل، لكنها لا تخلو من التحذير، إذ تشير إلى فقدان التوازن والعقلانية في الإنفاق.

هاتان الصورتان متقابلتان طباقاً (غلّ اليد ↔ بسطها)، وقد جمعتهما القرآن في بناء متوازنٍ بديعٍ يسمّيه البلاغيون اللفّ والنشر المرتّب، أي ذكر المتقابلين ثم بيان حكم كلّ منهما بالترتيب نفسه.

والغاية من هذا الأسلوب أن يبرز القرآن عاقبة كلّ طرفٍ من الإفراط أو التفريط، ويدعو الإنسان إلى الوسط العادل بينه. وأيضا جاء في كتاب بلاغة القرآن³⁹ ولكون اليد يوظفها القرآن في التعبير عن صفتي التقدير والتبذير في صورة قريبة إلى الذهن والحس. فنلاحظ اليد مغلولة إلى العنق (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك) كناية عن (البخل) إلا أن هذا المعنى المكثى عنه يصل إلى المتلقي في صورة طريفة. فالبخل في هذه الصورة الكنائية ليس هو مجرد بخيل يمنع عطاءه عن الناس في كل حين ويكتنز ما عنده شحيحا على نفسه وإنما هو إنسان مغلول اليدين في صورة غريبة لأن يديه ليست مغلولتين إلى امام كما هو مألوف وإنما يداه مغلولتان إلى عنقه فلا يستطيع حركة..... أنها صورة تناسب موضوع البخل بما فيها من قوة تصوير وغرابة وذلك لأن البخل هو أشدّ ضررا من ضده (التبذير) وأكثر كرها إلى النفس.

والبخل أقرب إلى الشر من (التبذير) الذي كني عنه بهذه الصورة (ولا تبسطها كل البسط) وهي صورة تخف قوتها في التصوير إزاء كناية (البخل) وذلك لأن التبذير وإن كان مذموما هو قريب في طبيعته من الخير والمنفعة.

وصورة غلّ اليد إلى العنق توحى بالقيود المانع من الحركة، وفي هذا امساك عن العطاء، كما أن البسط اليد يوحي بالخلو التام وفي هذا دلالة على العطاء الكثير الذي لم يبق شيئا ويمكن أن نعد ذلك تلويحا.

ثم تصور الآية ما تنتهي إليه الصورتان الكنائيتان بذلك التعقيب الموحى: في قوله تعالى: ﴿فَتَقَعْدَ مَلُومًا مُحْسُورًا﴾ اختتمت الآية بهذا التعبير البليغ الذي يصور حال البخيل والمسرف بعد فعلهما فكلمة «محسور» فمن معاني الحسير: الدابة تعجز عن السير فتقف من الاعياء والتعب، تعني في اللغة — كما قال ابن منظور في لسان العرب — "حسرت الدابة والناقة حسرا واستحسرت: عيت وكلت... والعرب تقول: حسرت الدابة اذا سيرتها حتى ينقطع سيرها"⁴⁰.

وهكذا البخيل والمسرف كل منهما يحسر نفسه فيقف عاجزا متعبا فضلا عن أن في التعبير القرآني دلالة ساخرة من البخيل والمسرف فكلاهما بالتصوير (قاعد) فالبخيل قاعد وكأنه ملازم للأرض كشخص مقعد ولكنه يتلقى اللوم الذي ينهال عليه من كل جانب، والمبذر أيضا قعيد الأرض بعد أن نفذ ماله ويمكن أن نمثله جالسا مطرقا إلى الأرض شارد الذهن يفيض أسى وحسرة والمألم يجد من ماله شيئا ولم يجد من الذين أحسن إليهم حتى المواساة ولم يجد مما كان يهدف إليه من إبراز ذاته بين الناس شيئا بل وجدها امعنت في الانزواء من حيث أراد لها الظهور⁴¹ وهكذا تظل صورة البخل وصورة التبذير عالقة في الحس والوجدان تفعل فعلها وما كان أي تعبير آخر أن يبلغ إلى الحس ما يبلغه هذا الأسلوب الكنائي.

التحليل والمقارنة:

جاءت ترجمة الآية الكريمة في "تعليم القرآن" "او خپل لاس خپل ځټ پورے ترلے مه ساته (يعنى شوم مه جوړېده) ، او نه ے بالکل پرانستی چلوه "ترجمتها إلى العربية: ولا تجعل يدك مربوطة إلى عنقك (أي لا تكن بخيلاً)، ولا تبسطها كل البسط، لئلا تجلس ملوماً محسوراً.

في هذه الترجمة يظهر بوضوح أن المترجم تجاوز المعنى الحسي إلى المعنى الخُلقي الكنائسي، حين أشار صراحةً إلى المقصود بقوله: (يعنى شوم مه جوړېده) أي لا تكن بخيلاً. وهذا التوضيح يجعل الصورة المادية (ربط اليد أو بسطها) مجرد رمزٍ تعبيريٍّ عن حالٍ نفسيٍّ. فاليد المغلولة كناية عن البخل المفرط، واليد المبسوطة كل البسط كناية عن الإسراف والتبذير. وبذلك تجلّت في الترجمة الكناية الخُلقيّة التي تهدف إلى بيان الاعتدال بين طرفي الإفراط والتفريط. ويلاحظ أن المترجم أشار إلى الكناية الأولى - كناية عن البخل - بعبارته التوضيحية، لكنه لم يشر إلى الكناية الثانية - كناية عن الإسراف - بأي عبارة توضيحية.

أما مؤلف "أفضل التراجم" فقد ترجم الآية بقوله: وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ " او مه جوړوه لاس خپل ترلے شوی ځټ ستا ته او مه ئ خور او ده ډیر زیات نو کیبه نی ملامته کړ ے شو ے فیل شو ے (که اسراف کوي و ترجمتها إلى العربية: ولا تجعل يدك مربوطة إلى عنقك، ولا تبسطها كثيراً، لئلا تكون ملوماً محسوراً (إن أسرفت)

في هذه الترجمة اكتفى المترجم بتصوير المشهد القرآني تصويراً حسياً: (اليد المربوطة إلى العنق واليد المبسوطة كثيراً) ولم يوضح بصورة صريحة أن المراد من ذلك هو البخل والإسراف. صحيح أنه أشار في آخر الجملة إلى الإسراف لكنه لم يبين المقصود من الطرف الأول (البخل) فبقي المعنى الكنائسي ناقصاً واقتصر على الظاهر اللغوي.

الاختلاف بين الترتين راجع إلى منهج المترجم في التعامل مع الصورة القرآنية:

فمترجم تعليم القرآن فهم الصورة على أنها رمزٌ أخلاقيٌّ تربويٌّ، فحوّلها من مجرد حركة حسية إلى دلالةٍ نفسيةٍ ومعنويةٍ، فكانت الترجمة تجسيداً دقيقاً للكناية الخُلقيّة. أما مترجم أفضل التراجم فاقصر على الوصف اللغوي الظاهر، ولم يُفسّر ما وراء الصورة من معاني خلقية، فبقيت ترجمته ناقصة الدلالة الكنائية.

من خلال هذا التحليل يتبين أن كلا المترجمين اكتفى في إحدى الكناية بنقل المعنى اللفظي دون الإشارة إلى المعنى المقصود.

المثال الثاني: قبض اليد

الآية الكريمة: (الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)⁴²

ترجمة الآية في "تعليم القرآن"

منافقان سري او منافقانه بنځے تول د يو بل پشان دی ، د بدو خبرو تعليم ورکوي او د نيکي نه خلق منع کوي او (د نيکي په لاره کښه د خرچ کولونه) خپل لاسونه منع ساتي ، دوى الله تعالى هير کړو نو الله تعالى هم دوى هير کړل (ياد ساتي)چه منافقان يقيناً نا فرمانه دي -⁴³

ترجمة الآية في "أفضل التراجم"

منافقان سري او منافقانه بنځے ځنې د دوينه د ځنو نورو نه دي - حکم کوي په نارواوه او منع کوي خلق د نيکي نه او بندوي لاسونه خپل - هيروي الله لره نو هغه به هير کړي دوى لره - يقيناً منافقان نافرمان دي -⁴⁴

توضيح الكناية في الآية الكريمة:

يُصَوِّرُ القرآن الكريم صفةَ البخل في الإنسان بكنايةٍ جميلةٍ ومعبرة، هي قبضُ اليد، وذلك في سياق وصف المنافقين والمنافقات، كما في قوله تعالى ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ، يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ، نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ، إِنَّ

المنافقين هم الفاسقون» فهذه الكناية تُشير إلى أن البخل صفةٌ أصيلةٌ في شخصية المنافقين، وجزءٌ من مكونات نفوسهم، لأن المنافق لا يعرف العطاء ولا التضحية، بل يسعى دائماً وراء منفعة الذات فقط وقد وضح ابن قتيبة معنى هذه الكناية فقال بمسكون عن العطية، وأصل هذا أن المعطي يمد يده ويبسطها بالعطاء، فقبل لكل من بخل ومنع: قد قبض يده⁴⁵ أي أن من أراد أن يعطي غيره، فإنه يبسط يده بالعطاء، وأما البخل فإنه يجمع يده ويقبضها، فيقال لمنع العطاء: "قبض يده فجعل القرآن هذه الحركة الظاهرة رمزاً معنوياً للبخل، لأن قبض اليد يدل على الإمساك والمنع، وبسطها يدل على الكرم والبذل. والتصوير الكنائي هنا يوحي بقوة صفة البخل في نفوس المنافقين، وكأنها تتحكم فيهم وتسيطر على مشاعرهم، لأن القبض في الأصل هو جمع الكف وإمساكها عن التناول، وهذه الحركة الجسدية ترمز إلى الانغلاق النفسي والتمسك بالمال وعدم الرغبة في العطاء.

كما أن الفعل القرآني "يقبضون" جاء بصيغة المضارع، وهي تدل على التجدد والاستمرار، أي أن هذه الصفة مستمرة ومتكررة فيهم، فهي ليست حالة مؤقتة، بل صفة متأصلة في نفوسهم في كل زمان ومكان. فالكناية في قوله تعالى «وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ» تُجسد حالة المنافقين النفسية المليئة بالشح والبخل، وتصورها في صورة حسية هي قبض اليد، تعبيراً عن الحرص الشديد والامتناع عن البذل، مع ما ذكرته الآية من صفات أخرى تدل على فساد طباعهم وضعف إيمانهم.

جاء في تفسير الموسوعة البلاغي بوضوح (بالغة الكناية في قبض اليد عن الشح) قوله تعالى: (وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ) هو الجملة الثالثة من احوال المنافقين المتعاطفة، وقبض اليد كناية عن الشح كما ان بسطها كناية عن الجود لان من يعطي يمد يده بخلاف من يمنع والشح هو البخل في اقبح صوره فلما كان البسط اشارة الجود جعل القبض دليل الامساك والشح ولذلك لم يذكر القبض مع بسط الله تعالى الرزق لعباده في القرآن الكريم قط لان الله تعالى لا يقبض حتى عن الكافر وانما يقدر اي: ينزل الرزق بحسب مصالح العباد بتقدير الحكيم الخبير⁴⁶. وجاء أيضاً في تفسير ابي السعود {وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ} أي عن المبرات والإنفاق في سبيل الله فإن قبض اليد كناية عن الشح⁴⁷.

التحليل والمقارنة:

جاءت ترجمة الآية الكريمة في "تعليم القرآن" (وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ) (او) د نيكئي په لاره کښې د خرچ کولونه (خپل لاسونه منع ساتي) أي "ومسكون أيديهم عن الإنفاق في سبيل الخير" في هذه الترجمة أشار المترجم إلى معنى قوله تعالى «وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ» بعبارة «ومسكون أيديهم عن الإنفاق في سبيل الخير»، أي فسّر الكناية بما تُشير إليه من البخل، وهو خُلُق ذميم. فترجمة تعليم القرآن راعت معنى الكناية الخلقية، لأنها لم تترجم اللفظ ترجمة حرفية فقط، بل نقلت المعنى الخُلقي الكامن وراء الصورة الكنائية. أما مؤلف ترجمة "أفضل التراجم" فقد ترجم الآية الكريمة: (وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ) أي "أو بندوي لاسونه خپل" أعني ويغلقون أيديهم. المترجم هنا اكتفى بالترجمة الحرفية «يغلقون أيديهم» دون توضيح المقصود من الصورة الكنائية، أي لم يصرح بأن المراد هو البخل أو الإمساك عن الإنفاق.

ومع ذلك، فالمعنى الكنائي يبقى مفهوماً ضمناً من السياق، لكن لم يُبيّن صراحةً كما في ترجمة تعليم القرآن العبارة القرآنية «وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ» كناية خُلقية عن البخل والإمساك عن الإنفاق في سبيل الله وترجمة تعليم القرآن راعت هذه الكناية الخلقية بوضوح، حيث فسرتها بما تدل عليه من الخُلُق (البخل). أما أفضل التراجم فحافظت على اللفظ دون بيان المقصود الخُلقي منه.

ترجمة تعليم القرآن هي الأقرب إلى روح الكناية الخلقية، لأنها نقلت المعنى النفسي والخلقي من وراء الصورة، بينما ترجمة أفضل التراجم اقتصر على اللفظ دون بيان الدلالة الخلقية المقصودة.

خلاصة البحث:

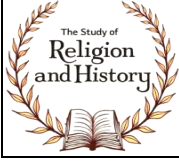
توصلت الدراسة إلى أن الكنايات النفسية والخلقية في القرآن الكريم تمثل جانباً مهماً من جوانب الإعجاز البياني، إذ تعبر عن المشاعر الداخلية والقيم الأخلاقية بأسلوب تصويري غير مباشر، يجعل المعاني المجردة صوراً محسوسة مؤثرة في النفس. وقد بينت الدراسة أن القرآن الكريم يستثمر الحركات الحسية وهيئات الظاهرة للتعبير عن الانفعالات النفسية، كالغيط والندم والحسرة والإعراض، كما يستخدم الصور الحسية للدلالة على الصفات الخلقية مثل البخل والإسراف والشح. وأظهرت الدراسة أن ترجمة «تعليم القرآن» كانت في كثير من المواضع أقرب إلى المحافظة على المعنى النفسي والخلقي للكناية من خلال الجمع بين الصورة الحسية والمعنى المقصود، في حين مالت ترجمة «أفضل التراجم» في بعض المواضع إلى الترجمة الحرفية التي حافظت على ظاهر الصورة دون إظهار دلالتها النفسية أو الخلقية بصورة واضحة. وقد أكدت الدراسة أن المحافظة على روح الكناية القرآنية تمثل تحدياً كبيراً في الترجمة، وأن الترجمة التفسيرية المعتدلة أقرب إلى نقل الأثر البلاغي للنص القرآني.

نتائج البحث

- * الكناية القرآنية وسيلة بيانية مؤثرة تجمع بين التصوير الحسي والدلالة النفسية والخلقية.
- * الكنايات النفسية في القرآن تسهم في تحسيد الانفعالات الداخلية بصورة فنية مؤثرة.
- * الكنايات الخلقية تؤدي دوراً تربوياً في ترسيخ الفضائل والتنفير من الرذائل.
- * التعبير الكنائي أبلغ أثراً من التعبير المباشر؛ لما يحققه من إيجاء وتصوير وإثارة للوجدان.
- * اعتمد القرآن الكريم على الحركة الحسية بوصفها رمزاً للحالات النفسية والصفات الأخلاقية.
- * اختلفت مناهج المترجمين في التعامل مع الكناية القرآنية بين المحافظة على ظاهر اللفظ وبيان المعنى المقصود.
- * كانت ترجمة «تعليم القرآن» في كثير من المواضع أقرب إلى نقل الدلالة النفسية والخلقية للكناية.
- * مالت ترجمة «أفضل التراجم» في عدد من الأمثلة إلى الترجمة الحرفية، مما أدى إلى ضعف ظهور البعد البلاغي للكناية.
- * المحافظة على الصورة الكنائية في الترجمة تسهم في نقل جانب من الإعجاز البياني للقرآن الكريم.
- * تحتاج ترجمة الأساليب البلاغية القرآنية إلى الجمع بين الأمانة للنص والمحافظة على الأثر النفسي والجمالي في اللغة المنقول إليها.

الهوامش

- ¹ التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ص 32.
- ² نهاية الإعجاز في دراسة الإعجاز ص 108 وينظر تفسير التحرير والتنوير: 9/ 268
- ³ سورة آل عمران، الآية: 119.
- ⁴ تعليم القرآن، ص 102.
- ⁵ أفضل التراجم، ص 94.
- ⁶ لسان العرب ابن منظور 7/ 188.
- ⁷ 307/3. البحر المحيط.
- ⁸ مقاييس اللغة (غل)
- ⁹ المفردات غل.



- 10 البحر المحيط 41/3.
- 11 التفسير الموسوعة البلاغي 655/5.
- 12 الكشف 1 / 459.
- 13 سورة الفرقان، الآية 27.
- 14 تعليم القرآن، ص 577.
- 15 أفضل التراجيم، ص 521.
- 16 الكشف: 218/3.
- 17 ينظر. في ظلال القرآن: 156/6. سيد قطب.
- 18 الكشف 218/3.
- 19 سورة الكهف، الآية: 42.
- 20 تعليم القرن، ص 475.
- 21 أفضل التراجيم، ص 429.
- 22 الكشف 565/2: وينظر أيضا الاستعارة في القرآن الكريم ص 125. (رسالة ماجستير) أحمد فتحي رمضان كلية الآداب جامعة الموصل 1988.
- 23 صفوة التفاسير: 2 / 193.
- 24 الكشف 2 / 724.
- 25 التحرير والتنوير 15 / 327.
- 26 سورة نوح، الآية: 7 .
- 27 تعليم القرآن، ص 910، 911.
- 28 أفضل التراجيم، ص 826.
- 29 الكشف: 217/1.
- 30 نفسه 493/4.
- 105 البحر المحيط: 338/8.
- 32 الكشف 4 / 493.
- 33 سورة الاعراف، الآية: 179.
- 34 سورة الإسراء، الآية: 29.
- 35 تعليم القرآن، ص 453.
- 36 أفضل التراجيم، ص 409.
- 37 الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها. د. توفيق الطويل ص 58 .
- 38 دلائل الإعجاز ص 110. 111.
- 39 : ينظر: من بلاغة القرآن، ص 226. وينظر: التعبير الفني في القرآن، ص 201. وينظر: البلاغة العربية المعاني والبيان والبديع ص 229.
- 40 لسان العرب 4 / 188.
- 41 أسلوب السخرية في القرآن الكريم ص 184.
- 42 سورة التوبة، الآية 67 .
- 43 تعليم القرآن، ص 313.
- 44 أفضل التراجيم، ص 283، 284.
- 45 تأويل مشكل القرآن ص 167.
- 46 تفسير الموسوعة البلاغي: ص 553. ج 17 .
- 47 تفسير أبي السعود 80/4 .